



# درافون

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون  
[www.almadasupplements.com](http://www.almadasupplements.com)

"20 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير

مخيري

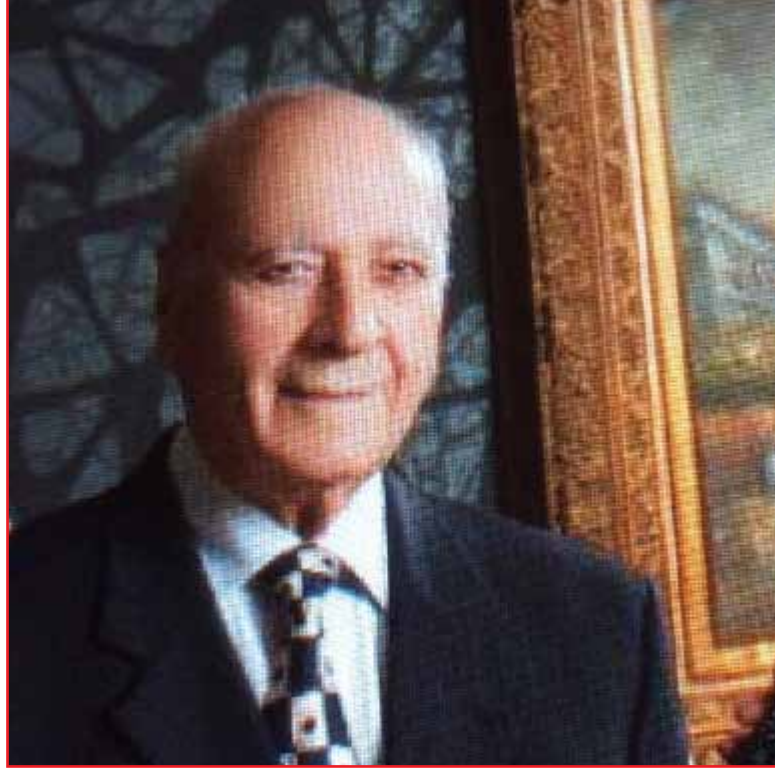
العدد (5567) السنة الحادية والعشرون -  
الخميس (7) كانون الأول 2023

# جميل نصيف التكريتي

## 1929 - 2023

# الدكتور جميل نصيف التكريتي.. سيرة ذاتية وفكرية

د. كامل الويس



هو علم من الأعلام المتميزين في أخصاصه في النقد الأدبي، ونظرية الأدب، والأدب المقارن، والمذاهب الأدبية، والأدب المسرحي الأريقي، ومترجم حاذق من الروسية الى العربية، ومقوم العروض المسرحية، وتقويم الأعمال الروائية وغيرها من الأعمال الرصينة. وأنشر لكم نص سيرته التي كتبها بنفسه ما عدا نسبه الشريف..  
- الاسم واللقب: جميل نصيف جاسم العجمي التكريتي النجاري الصيادي الحسيني.  
- مسقط الرأس: تكريت ١٩٢٩.

- أنهى دراسته الابتدائية والثانوية في تكريت.  
- التحق عام ١٩٥٠ بدار المعلمين العالية وفي عام ١٩٥٤ حصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وأدائها بدرجة جيد جداً قسم الشرف.  
- عمل مدرسا على الملك الثانوي ثم معاوناً لمدير معارف بغداد خلال الفترة ١٩٥٤ — ١٩٦٠  
- تعاقب مع وزارة المعارف العراقية للدراسة ونيل شهادة الدكتوراه في النقد من الاتحاد السوفييتي  
- التحق بقسم الادب الروسي الكلاسيكي - كلية الاداب - جامعة موسكو.

- استغرقت دراسته هناك الفترة من خريف ١٩٦٠ الى ربيع ١٩٦٧.

- في اواخر العام ١٩٦٧ أعيد الى الخدمة للتدريس في جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة: قسم الفنون المسرحية  
- في بداية عام ١٩٧١ أعيد تنسيبه الى قسم اللغة العربية: كلية الاداب لتدريس الادب والنقد - والى ان تقاعد في مطلع عام ٢٠٠٨ وأصل التدريس الجامعي بمرحلته الاولى والعليا الى جانب الاشراف على الرسائل الجامعية ماجستير ودكتوراه ومناقشتها ولم يقتصر ذلك على قسم اللغة العربية في كلية الاداب بل شمل اقساماً علمية اخرى في كليات تابعة لجامعة بغداد وغيرها من الجامعات العراقية

- اتاحت له فرصة ممارسة نفس النشاط العلمي معاراً الى جامعة الجزائر ١٩٧٣ — ١٩٧٦ لتدريس مادة نظرية الادب، شمل تلك جامعة قسطنطينة لاحد الفصول الدراسية، وللفترة من ١٩٩٦ الى ١٩٩٩ عن طريق التعاقد مع جامعة السبع من ابريل في ليبيا.

- انجز عدداً من البحوث المنشورة في المجالات الاكاديمية والادبية-الثقافية الرصينة وحصل بفضلها على الترفيق العلمية: استاذ مساعد ثم درجة الاستاذية، لا يتسع المجال لذكرها بالتفصيل. له عدد من الكتب، ثلاثة منها معتمدة كتباً مساعدة للمنهج: المذاهب الادبية والادب المقارن.. تم تأليف كليهما بتكليف من لجنة المناهج التابعة لوزارة التعليم العالي. اما الكتاب الثالث فقد تم تأليفه بناء على تكليف من وزارة التربية وذلك على وفق منهج تدريس الادب المسرحي الاعريقي في معهد الفنون الجميلة.

- في ميدان الترجمة عن اللغة الروسية قام بترجمة ونشر العديد من البحوث والكتب التي حظيت باهتمام الاوساط الاكاديمية والثقافية في عموم الوطن العربي، الامر الذي تجسد في اعادة نشر بعضها: كتابان في بيروت والثالث في الرباط. فضلاً عما اعيد نشره في العراق...

في مجال النشاط الثقافي كانت له مساهمات.. منها العمل مع الاخرين على اعادة الحياة الى اتحاد الادباء والكتاب في العراق اواخر ستينات القرن الماضي فكان عضواً في الهيئة الادارية الجديدة مسؤولاً عن العلاقات الخارجية الى جانب مساهماته في اللجان الاخرى كاللجنة الثقافية واللجنة الفنية والاماسي الثقافية محاضراً ومناقشاً.. كما كان احد المشاركين في تأسيس وقيام رابطة المقارنين العرب اثناء مشاركته ممثلاً لجامعة بغداد في مؤتمر الادب المقارن العربي الاول المنعقد في رحاب جامعة عنابة - الجزائر عام ١٩٨٤، وتم انتخابه اميناً عاماً مساعداً في الهيئة الادارية للرابطة وشارك في مؤتمراتها التي عقدت في جامعة دمشق عام ١٩٨٦ وفي جامعة مراكش عام ١٩٨٩.

- اختير عضواً في لجنة الترجمة والنشر التابعة لمديرية الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والاعلام في العراق في سبعينات القرن الماضي ثم عضواً في الهيئة الاستشارية لدار الشؤون الثقافية خلال العقدين الاخيرين من القرن الماضي..

- خلال العقود الثلاثة الاخيرة كان عضواً في جميع اللجان المكلفة سنوياً بتقويم العروض المسرحية ومنح الجوائز للفنانين.. كذلك كان عضواً في اللجان التي اشرفت على اعمال المهرجانات المسرحية على المستوى المحلي او العربي وتقييمها ومنح جوائزها.

- وعند تشكيل مركز البحوث الاستراتيجية في مطلع القرن الحالي وقع الاختيار عليه للاشراف على قسم الدراسات الادبية فيه، وفي الفترة نفسها انيطت به مهمة رئاسة تقويم الاعمال الروائية العراقية المتقدمة للفنون بجائزة احسن رواية صادرة في العام السابق، كما اختير لعضوية اللجنة التي انيطت بها مهمة تقييم النتائج الروائي الجديد لمكافأته ونشره من قبل دار الشؤون الثقافية.

- حاول قسم الدراسات الادبية في مركز البحوث

الاستراتيجية ممارسة نشاطه فعقد خلال الفترة القصيرة من عمره عدة حلقات دراسية كما اقام بالتعاون مع وزارة الثقافة، ندوة حول الرواية العربية المعاصرة شارك فيها عدد من المختصين العرب. وهذه النشاطات توقفت، لاسف الشديد، بعد الاحداث الدراماتيكية التي تعرض لها العراق مؤخراً.

الكتب المؤلفة  
١. قراءة وتأملات في المسرح الإغريقي - منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٥  
٢. المذاهب الأدبية - دار الشؤون الثقافية ١٩٩٠  
٣. الادب المقارن - تأليف مشترك - مطابع وزارة التعليم العالي ١٩٨٩  
٤. الأدب المقارن - الف بمنهجية جديدة بناء على تكليف لجنة المناهج في وزارة التعليم العالي - دار الشؤون الثقافية ٢٠٠٥، على نفقة جامعة بغداد

٥. المسرح العربي. ريادة وتأسيس - دار الشؤون الثقافية ٢٠٠٢  
الكتب المترجمة:

١. نظرية المسرح الملحمي - وزارة الثقافة والإعلام ١٩٧٣  
٢. في سبيل الواقعية - وزارة الثقافة والإعلام ١٩٧٤  
٣. بوشكين. حياته وادبه - وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨١

٤. نظرية الادب - منشورات دار الرشيد - وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠ ثم اعيد طبعه من قبل دار الشؤون الثقافية عام ١٩٨٦ تحت عنوان: موسوعة نظرية الأدب - المجلد الأول، مؤزعا على اربعة أجزاء هي: الأدب الشعبي البطولي - الشعر الغنائي - الرواية - الدراما. على التوالي، أخذين بعين الاعتبار الاعداد لترجمة المجلد الثاني من كتاب نظرية الادب ونشرها مؤزعة على اربعة أجزاء وتحت العنوان العام نفسه. لقد صدرت الأجزاء الأربعة تباعاً خلال النصف الأول من تسعينات القرن الماضي. جدير

بالذكر ان حجم الترجمة العربية للموسوعة تربو على الألفي صفحة.

٥. قضايا قوانين فن الأبداع عند دوستويفسكي - دار الشؤون الثقافية. بغداد ١٩٨٦، وفي السنة نفسها صدر الكتاب في الرباط - المغرب عن دار توبقال بعنوان - شعرية دوستويفسكي. وصممت له غلافاً جديداً.

البحوث والمقالات  
يتعذر علي وأنا بعيد عن مكتبي أن أتذكر الكثير من التفاصيل وسأكتفي بذكر الأهم  
١. من خصائص الفن الدرامي عند شكسبير. مجلة المسرح - بغداد

٢. دور النقد في تطوير الحركة المسرحية. الاديب المعاصر - بغداد

٣. نحو دراسة جادة للحركة المسرحية في العراق. مجلة المثقف العربي - بغداد

٤. مارون النقاش رائد المسرحية العربية. الأديب المعاصر - بغداد

٥. من رواد المسرح العربي. احمد ابو خليل القباني. مجلة كلية الآداب - بغداد

٦. يعقوب صنوع رائد المسرحية العربية في مصر. مجلة الأكاديمي - بغداد

٧. الرؤيا الواعية في مسرحية الخرابة. مجلة الآداب - بيروت

٨. بين الجدل في الحياة والجدل في الدراما. مجلة كلية الآداب - بغداد

٩. العلاقة الجدلية بين المذاهب الرئيسية في الأدب. مجلة الأعلام - بغداد

١٠. الأثر العربي في الأدب الروسي الكلاسيكي. بوشكين نموذجاً - نشر ضمن وقائع أعمال مؤتمر الأدب المقارن الذي انعقد في رحاب جامعة عنابة - الجزائر، ونشر في مجلة نقابة المعلمين في بغداد - اذ اتم تخني الذاكرة

١١. الأمثال في تكريت - موسوعة مدينة تكريت

١٢. بحث يتناول البدايات المبكرة لاهتمام المستشرقين الروس بالأدب العربي - نشر في مجلة الاستشراق - دار الشؤون الثقافية - بغداد

١٣. نحو منهج عربي للأدب المقارن - بحث القي أثناء انعقاد المؤتمر الأول للأدب المقارن العربي - وذلك في رحاب جامعة عنابة - الجزائر ١٩٨٤ - مجلة آفاق عربية

١٤. الدراما العربية وتحديات العصر - بحث القي أثناء انعقاد مؤتمر الأدباء العرب في بغداد ١٩٨٦ - مجلة الآداب - عدد خاص، وذلك ضمن عشرة بحوث اختارها المرحوم الدكتور سهيل ادريس، رئيس تحرير المجلة من بين بحوث المؤتمر

١٥. هناك بحث حول اهمية الترجمة للأدب المقارن - نشر في مجلة نقابة المعلمين، ان لم تخني الذاكرة

١٦. كتاب الشعر والشعراء - لابن قتيبة - بين قراءتين. بحث القي أثناء انعقاد المؤتمر الرابع للنقد ١٩٩٢ جامعة اليرموك - الأردن. مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٩٩.

١٧. هناك مقالات كثيرة  
١٨. أما المقالات والبحوث المترجمة المنشورة فأهمها منشور في أعداد كثيرة من مجلة الثقافة الأجنبية ثم تليها مجلة المسرح العدد صفر وآفاق عربية والمثقف العربي الخ.

"موسوعة أعلام تكريت الماضي والحاضر"، حرف الجيم.

# المفكر د. جميل نصيف التكريتي وإرثه الفكري والثقافي

هاتف الثلج



نعت الأوساط الثقافية في العراق والعالم العربي، المفكر والناقد الكبير والمترجم المقدر والأكاديمي المعروف الدكتور جميل نصيف التكريتي، الذي رحل صباح هذا اليوم السبت ٢٠٢٣-١٢-٢ عن عمر يناهز الرابعة والتسعين عاماً، مخلفاً وراءه إرثاً فكرياً وأدبياً وثقافياً في مختلف الاتجاهات الثقافية.



نعم، قد يكون الأستاذ جميل مات جسدياً وهو موت شكلي، فهو حي بما تركه من بحوث وتراجم ومنجزات أخرى تمثلت في ما كتبه في النقد الأدبي والنقد المسرحي والأدب المقارن والتراجم المختلفة، لاسيما تلك التي ترجمها عن اللغة الروسية والتي أشاد بها النقاد بوصفها من أفضل التراجم التي تقرب في ترجمتها من لغتها الأم، وهو أمر غاية في الصعوبة لا يتأتى لأي كان، وهو يذكرنا بترجمة سامي الدروبي للأعمال الكاملة للروائي العظيم دوستويفسكي.

إن إتقانه للغتين العربية والروسية مكنه من الاطلاع على عيون الثقافات والأفكار من مصادرها الرئيسية، كما أن خلفيته الإيديولوجية والفكرية والسياسية اعني الفلسفة الماركسية مكنه من ان يمتلك ناصية الترجمة المتكاملة التي تجمع بين النصوص وحال النص، حتى قال عنه معظم النقاد. (انه يكاد يتفوق بترجمته حتى على النص المترجم).

ان العمر الذي أستغرقه في الحياة والذي يقرب من قرن الزمان، كان عاملاً مؤثراً جعله شاهداً على الكثير من الأحداث المحلية والعربية والعالمية، كذلك ساهم في بعضها، ان خلفيته الماركسية قد انعكست على نمط كتاباته ومحاضراته، لكن هذا لم يمنع انه تأثر بالفكر العربي الإسلامي بحيث لا ينكر إعترازه بكل ما ينتمي الى لغة وتراث العرب. وهو قد عاشر الكثيرين من أديباء ومتقفي العالم، وشاهد عن كتب كيف أنهم يعتززون بوطنيتهم وانتماءاتهم القومية، فهو لم ينسلك عن التراث، بل.. طبع هذا التراث من اجل أن يكون مواكباً حضارياً، ذلك انه يؤمن من الحياة تطور لغوي وفكري وإنساني وحتى سياسي، لذلك هو لا يؤمن بالتفوق الإيديولوجي.

ان استقراره في لندن وقبلها في موسكو، كان له اثر فعال في خلق هذا المفكر الذي أطلق عليه أخواه اسم (جميل) والذي هو في الحقيقة يجب ان نطلق عليه اسم إنسان لكل.

ذلك ما نلاحظه كثيراً في منحاه الإنساني فهو يدرج في التصنيف الثقافي إضافة الى كونه مثقفاً في المفهوم العام، فهو كذلك مثقف عضوي لم تكن الثقافة بمعزل عن هموم شعبه والإنسانية جمعاء.



أراد من خلال تفكيره وانجازاته ان يهب الحياة والإنسان شيئاً يجعلها أكثر قيمة وأكثر نفعاً، قد نقول انه إضافة لكونه يؤمن بمقولة ان الأدب للأدب كذلك في نفس الوقت ان الأدب للحياة، انما نقصد انه فيما أبداه قد لا يفهمه الا نخبة المثقفين والمختصين ولكنه في نفس الوقت طبع فكره حتى يفهمه عامة الناس، فهو من نوع السهل الممتنع.

بدأ الدكتور جميل نصيف التكريتي، حياته طالباً متميزاً ومتفوقاً على أقرانه عندما أطل على الحياة في العام الف وتسعمائة وتسعة وعشرون، اي انه ولد في الثلث الأول من القرن العشرين..

قرن عصر الشعوب المناضلة والثورات التحررية والحروب العالمية وتنامي حركات التحرر في العراق والوطن العربي والعالم.

هذه الولادة في مثل هذه الظروف صنعت منه مثقفاً متمكناً من أدوات الثقافة، وعلى المستوى التعليمي فقد أكمل بتفوق دراسته في دار المعلمين العالية، وعمل في التدريس الثانوي ومن ثم معاون مدير معارف بغداد، وبعدها إتجه للدراسة في موسكو في أوائل الستينيات..

والتحدي الذي واجهه فيها يعرف بالحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية..

وافق ذلك إنجاز علمي مميز وهو هبوط الإنسان على سطح القمر.

ان هذا الصعود في المجال السياسي والعلمي إنعكس على منحى تفكير الكثير من المثقفين، ولكن من المفارقات ان هذا الماركسي النزعة والذي عاش فترة في ظل الستار الحديدي هيأت له الأقدار ان ينتجه صوب قلعة من قلاع الرأسمالية المتنورة ونقصد بها لندن، التي كان كثير التردد عليها منذ السبعينيات، ان استقراره في لندن منذ العام ألفين وستة بعد أن تقدم بطلب إحالته على التقاعد، قد

هيأ له الفرصة لدراسة طبيعة المجتمعات الغربية ونمط سلوكها، واعتقد شخصياً أن الجو الفكري السائد في لندن والتنوع والذي يمتاز بتنوعه الشعبي والعربي، قد جعله على إطلاع مباشر لأهمية التزاوج الحضاري ما بين الثقافات.

لقد ودع خالي العزيز الحياة وقد أنجز الكثير مما أغنى به المكتبة العراقية والعربية، ولو أمتد به العمر لاشك انه سيكون قد ضاعف من إثراء الفكر الإنساني، ولكن عمر الإنسان محدود في هذه الدنيا وهو الذي يتحكم بمنجزه.

وانه على المستوى العائلي قد أنجب أربعة من الأبناء، الصغيرة ودعت الحياة مبكراً عن عمر يناهز السابعة عشرة من عمرها متأثرة من مرض عضال، وقد ترك ذلك الأمر لديه جرحاً غائراً..

والكبيرة طبيبة يليها طبيب ثم مهندس، اي أنهم جميعاً وفقوا في حياتهم المهنية والاسرية نتيجة رعاية مثل هذا الأب إضافة إلى الأم وهي مدرسة ثانوية.

يرى العديد من النقاد العراقيين والعرب والأجانب، إن ما أنجزه الدكتور جميل يمثل نقله عربية في الفكر العربي، فالكثير من مؤلفاته تنصدر المكتبات العراقية والعربية.

الدكتور جميل يمثل رداً على ما يدعيه بعض العنصريين الأجانب من أن الفكر العربي قاصر وعاجز على ان ينجب مفكرين متميزين، وهو رأي يتسم بالعنصرية والانتقائية ويفتقر الى آليات النقد الموضوعي.

سوف تظل أجيال متعاقبة تذكر بفخر منجز الناقد الدكتور جميل نصيف التكريتي، بوصفه عالماً ريادياً عراقياً وعربياً، بل.. وحتى إنسانياً..

لذلك فإن رحيله عن هذه الدنيا يمثل خسارة من الصعب تعويضها في مجال الفكر والثقافة

والتطلع الإنساني.. كان يعدني بمثابة ابن خامس له، وتوسم بي منذ وقت مبكر من عمري مستقبلاً باهراً في مجال الفكر والثقافة والإعلام، وعندما بلغت ما بلغت قال لي:

- ألم أقل لك انك ستصبح ذا شأن؟

وأستطرد خالي يقول:

- رُد الجميل إلى جميل.. وذلك بأن تربيته رثاء ليس فيه نذب النادبات ولا بكاء الباكيات وإنما تضعني في الصورة التي عرفتها عني وبذلك تجعلني أسارع أن ابعث لك تهنئة من عالم الأموات عسى الله ان يطيل عمرك مثلي وهذا ما أتوقعه.

فلتتعم روحك بسلام أبدي كما تمنيت.. فم مطمئناً لأنك تركت بصمة لاتمحي في تراث بلدك وأمتك وعالمك، ومثلك لا يتكررون بسهولة.. الا بكيفك لقد نلت الخلود.. خلود الكلمة والفكرة والزهو الإنساني.

لم يقتصر منجز الناقد الكبير الدكتور جميل نصيف التكريتي، على إرثه الفكري والثقافي، بل.. أصبح لديه الكثير من التلاميذ والمريدين الذين تأثروا بفكره عن قناعة تامة، كما ان الكثيرين من طلبة الدراسات العليا أصبح ما أنجزه من مؤلفات تمثل لهم مرجعاً مهما وهم يستمدون منها الكثير مما يمنح طروحاتهم بعداً فكرياً وثقافياً.

ومن الطريف ان تلاميذه في كلية الآداب وكلية الفنون الجميلة، يذكرون بمحبة كيف انه كان حريصاً ومقتراً في منحته للدرجات.. هو لا يرغبهم وإنما يعطي لكل ذي حق حقه ولكن بصعوبة بالغة، فبعضهم يذكر انه لو حصل من الأستاذ جميل على درجة سبعة عشر من خمسة وعشرين فإنه يعد نفسه غاية في السعادة وتمييزاً على أقرانه من الطلبة.

ويوم إقرب الطالب وقتها الدكتور حالياً قريبي وصديقي العتيق عامر الحديثي من حاجز العشرين، عد ذلك بين الأستاذة والطلبة حدثاً غير عادي.

لا شك أنني ومنذ البدايات الأولى في حياتي قد تأثرت تأثراً شديداً ب خالي جميل، فقد كان يرشدني نحو الطريق الصحيح ويحثني دائماً على ان استزيد من العلم والثقافة فهو يقول:

- مهما استزدت من علم وثقافات فإنك لن تبلغ النهاية أبداً، ذلك أن الثقافات ليس لها سوى طريق مفتوح ومتجدد ومستمر ومتزايد، فما نظرحه اليوم وتؤمن به قد يبدو لك في الغد غير صحيح، عليك أن لا تستهين بأفكار الآخرين، وان تؤمن بالحوار فتعدد الحوارات يضفي عليك ويغنيك بالمزيد من المعلوماتية.

وانا أصغني لهذه النصائح تمثلت قول طاغور وهو يقول في مقدمة ديوانه (أناشيد الصباح):

(أنا لا أريد لبيتي أن يكون مسوراً.. أريد أن تكون نوافذ غرفتي مشرعة على كل الجوانب لأنهل من كل الحضارات والثقافات حتى أكون أنا الإنسان). أن الناقد الرائد الدكتور جميل نصيف التكريتي، رجل ثقافة وعلم ومعرفة وغير مترمتم في آرائه وأفكاره فهو رجل الحوار ورجل استطلاع ثقافات وحضارات الشعوب بوصفها تزاوج إنساني نتج عنه الأفضل والأحسن والأجمل، ولم يعرف عنه في يوم من الأيام أي تعصب لرأي أو فكرة.. وعرف عنه حبه وتعصبه لوطنه.

"20 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

# رحيل الاستاذ.. جميل نصيف وتنوير الثقافة

علي حسين

عندما قرأت خبر رحيل استاذي الدكتور جميل نصيف الكردي على صفحة الصديق هاتف الثلج هذا اليوم السبت 2/12/2023، تذكرت المرة الاولى التي قابلت فيها صاحب الابتسامة المتميزة والصرامة العلمية، وكنت قبل ان اقرأ خبر رحيله المؤلم في الغربة على سرير في احد مستشفيات لندن، اتابع أخباره واعرف انه يعاني من المرض ومن غياب الأحباب والاصدقاء، ومن حينه الى ضجيج قاعات الدرس التي كان فيها فارساً من الطراز الاول. وكنت اقول لبعض الاصدقاء ممن يعرفون قيمة وفضل الدكتور جميل نصيف على الثقافة العراقية: لماذا غابت عن حياتنا الثقافية اسما كانت تشكل قيمة معرفية، والأهم لماذا النسيان لهذه القامات الكبيرة وعدم الإعلاء من شأن أفكارها ومبادئها، لتصبح مرجعية عامة لسلوكنا الثقافي والمجتمعي؟

عرفت الدكتور جميل نصيف في نهاية السبعينيات، كنت آنذاك أعمل في مجلة الثقافة برعاية المعلم صلاح خالص، وكانت المجلة تنشر لي سلسلة حلقات عن مسرح يوسف العاني، وأتذكر انني في إحدى الحلقات اقتبست عبارة شهيرة كتبها الدكتور جميل نصيف عن يوسف العاني، واعتمدت أيضاً على دراسته المتميزة " نحو دراسة جادة للمسرح العراقي " كأحد المصادر المهمة التي تناولت تأثيرات المسرح الملحمي على المسرحية العراقية انذاك، وكان الدكتور جميل نصيف أول من قدم لقرء العربية الترجمة الكاملة للمؤلف المسرحي الألماني برتولد برشت " نظرية المسرح الملحمي " ، وفي أحد الأيام أخبرني الدكتور صلاح خالص، إن جميل نصيف يسأل عني، وكأي شاب في بداية الطريق، أصبت بنوع من الخشية والرغبة، كيف يمكن لي أن أقف أمام استاذ بحجم جميل نصيف، لكنني في النهاية قررت أن أخوض التجربة، وذات يوم كنت أهُمُ بدخول ساحة كلية الفنون الجميلة، فإذا أنا أمام الدكتور نصيف بقامته الفارعة وأناقته المتميزة، وما إن أخبرته باسمي حتى وضع يده على كتفي وقال لي: تعال معي الى غرفة الاساتذة، حيث كان آنذاك يدرس مادة النقد المسرحي، لأجد نفسي استمع الى شخصية ساحرة امتزجت فيها الرؤية الانسانية، مع جمالية فنية متميزة وهو يحاول أن يصحح خطوتي الأولى في كتابة النقد المسرحي، ويهلمني درساً في كيفية مخاطبة القارئ بلغة مفهومة ذات دلالات واضحة... كنت اصيخ السمع الى الدكتور المعلم وهو ينبهني الى اسما مهمة في الادب المسرحي يجب ان تراققني في رحلتي، سوفوكليس، راسين، كورني، ابسن العظيم، جان انوي واقتباساته المهمة عن المسرح الاغريقي، جان جيرودو، نسيخوف وبساطته العميقة.. وذات يوم سيهديني الاستاذ نسخة من كتاب ارسطو فن الشعر كانت النسخة بترجمة شكري عياد، وكنت احتفظ بنسخة من الكتاب بترجمة عبد الرحمن بدوي، وسألت الاستاذ ذات يوم ما الفرق بين الترجمتين، فقال لي ان ترجمة شكري عياد بها اضافات نقدية كتبها المترجم حول تأثير كتاب ارسطو على البلاغة العربية، وازداد هذا لاييني ان ترجمة بدوي غير جيدة، بالعكس فهي ترجمة جيدة بحدود انها منقولة عن الترجمات العربية التي قام بها الفارابي وابن رشد وابن سينا لكتاب ارسطو.



جميل نصيف من جيل يؤمن بان مهمة المثقف، هي بالاضافة المستمرة التي يقدمها للحياة العامة، وإن الاستاذ الجامعي يجب أن لاينغلق على نفسه داخل اسوار الجامعة منعزلاً عن قضايا المجتمع وأحلامه في التقدم والرفق، وإن دراسة الأدب أو الفن لا معنى لها ما لم تضع في الاعتبار الدور الاجتماعي الذي يسهم به الأديب والفنان في الارتقاء بالحياة، وإن الاستاذ الجامعي هو من يمتد برسائله الابداعية التنويرية خارج نطاق الدرس الجامعي مشجعاً قيم الحرية في المجتمع، متحدياً التقاليد الجامدة، ويبدو إن ذلك هو السبب الذي جعل الحياة الثقافية والاجتماعية تتأثر آنذاك بطروحات أساتذة كبار من امثال علي الوردي وسامي عبد الحميد وصلاح خالص وعلي جواد الطاهر وجواد علي وكاظم حيدر ومدني صالح وجبرا إبراهيم جبرا وإبراهيم كبة ومحمد سلمان حسن، وكنا نعرفهم ونتأثر بكتاباتهم المختلفة في الصحف والمجلات حتى قبل أن نعرف انهم يمارسون مهنة التدريس. كانت طريقة جميل نصيف في كتابة النقد المسرحي، هي أول ما شد انتباهي اليه، كما كانت دقته في اختيار عباراته التي تبقى عالقة في الذهن لاتنزلق الى النسيان بسهولة، اتاحت لي كقارئ أن أتمثلها وأتمكن من تحديدها مقاصدها،

عملي استاذ جامعي يفرض علي أن لا أقف عند نوع معين من الأدب، بل إن تطور قراءاتي مرتبط بتطور حياتي مع تطور نموي الفكري، هناك في التراث العربي نقاط مضيئة كثيرة علينا دراستها وتقديمها للقارئ، وهناك حقيقة يجب أن نعرفها إنه لاخلق فني من دون أصالة، أعني بها أصالة التعمق في تراثنا القديم "

أما أهم المعاني التي تقدمها لنا تجربة جميل نصيف فيرتبط بالطريق الطويل الشاق الذي قطعه الاستاذ الجليل على مدى ما يقارب ستة عقود في مجال الكتابة في عزم ومثابرة لايمكن لأي مؤرخ منصف لتاريخ الأدب العراقي إلا الوقوف أمام قدرة هذا الاستاذ بما أنجز وما حقق وما فتحه من أبواب مغلقة في الدراسات المختصة بالمسرح أو الأدب المقارن أو في مجال النظريات النقدية الحديثة وخصوصاً المدرسة الروسية التي كان أبرز أعلامها باختين وكان لجميل نصيف فضل السبق في تقديمه للعربية من خلال كتابه الشهير " شعرية دستوييفسكي " لم يكن هذا العمق بعيداً عن النزعة الاشتراكية التي يؤمن بها جميل نصيف ويحاول أن يقدمها من خلال دراساته النقدية أو ترجماته، رغم انه يرفض أن تتسم هذه الكتابات والترجمات بعداً ايديولوجياً: " قد اختلف مع التسميات التي توضع لمنهج الواقعية الاشتراكية، حيث يسميه البعض المنهج الايديولوجي، انا مؤمن بالواقعية الاشتراكية، لكنني مع تنوع الأساليب والأشكال الادبية، فالمضمون الجديد يحتاج بالتأكيد شكلاً جديداً يتلاءم معه، والفنان والاديب وهو يواجه مظاهر الحياة عليه أن يتسلح بالقدرة على الكشف الخلاق لنواحي الحياة هذه، وأن يساهم في تغيير نمط حياة الناس "

غاب الاستاذ والإنسان الذي أمضى عمره يحفر في الثقافة مثل عالم آثار، وربما لايجود زمان العراق كثيرأً بأساتذة ومثقفين وطنيين بمنزلة الاستاذ جميل نصيف كاتباً ومترجماً ومثقفاً تنويرياً، لم يكن فيها الاستاذ مجرد مثقف على الهامش، وإنما كان نموذجاً انسانياً يفيض علماً ومهنية ومحبة للجميع.

# أستاذي جميل نصيف التكريتي

د. حسين القاصد



ونشرها في الصحف، لكن سرعان ما طلبتني الجهات الأمنية لتسألني (ليش تصور للناس الحرب بهذه البشاعة.. احنه نريد دعم الحرب، يقول : فسألتهم هل الحرب جميلة؟) كان يقول لنا هذا والجو في كلية الآداب ملغوم ومشحون بجواسيس السلطة، ونحن الطلبة ليس لنا أن نبدي رأياً نجهل عواقبه، ولم يكن بيننا من هو تكريتي ليحميه لقبه؛ هكذا كنا نظن أن جميل نصيف التكريتي ربما نجا بسبب لقبه؛ قبل أن نعرف أنه شيوعي قديم ومن مؤسسي اتحاد الأدباء والكتاب في العراق.

كانت الأيام تمر بسرعة معه حتى سقط النظام الساقط واختفى أغلب الأساتذة البعثيين والجواسيس، وحين بدأنا نتردد على الجامعة بغية استئناف العام الدراسي، كان الدكتور جميل يتواجد معنا، وعلى قلة عدتنا اتفقنا أن ندعو لاستئناف الدوام؛ وتبرعت أنا أن أطلب منه أن يكون رئيس قسم اللغة العربية، وقد تم ذلك فعلاً. وحين انتهى العام الدراسي اختفى الدكتور جميل نصيف، وقيل إنه عاود الهجرة وقيل إنه قصد لندن هذه المرة وانقطعت أخباره تماماً. لا جامعة ذكرته ولا وسط أدبي احتفى بتجربته.

بعد مدة قصيرة توفي عناد غزوان، ثم عاد إلى العراق محمد حسين الأعرجي، وكان يشكو من جميل نصيف التكريتي بسبب ما حدث في مناقشة الدكتوراه لمحمد حسين الأعرجي؛ لكنني وعلى شدة حبي ووفائي للأعرجي لم يساورني الكره لجميل التكريتي، ذلك أمر بينهما، مثلما كنت أوازن بين محبتي للدكتور عبد الإله أحمد و عناد غزوان، حيث كان عبد الإله أحمد يتكلم أمامي ضد عناد غزوان، لكن - أيضاً - ذلك أمر بينهما، رحمهم الله جميعاً أعلام الأدب والتعليم العالي، والرحمة والمغفرة لأستاذي الدكتور جميل نصيف التكريتي.



عرفته وجها لوجه في كلية الآداب جامعة بغداد، منتصف تسعينيات القرن الماضي، كان بفامته المهيبية، ومشيته الهادئة كأنه يفكر بشيء ما دائماً، وابتسامته المتواضعة التي لا تشعر أنك غريب وأنت تكلمه على الرغم من هيئته العلمية؛ وكنت أنتظر الوصول للمرحلة الرابعة في البكالوريوس كي أجلس بين يديه تلميذاً؛ لكنه منحني شرف التلمذة قبل أن أدخل محاضراته؛ فقد عرفني شاعراً وانتبه لي، فأهداني آخر كتبه في المسرح العربي وجذوره وريادته، ومنه عرفت ( مارون النقاش) إذ لم يكن من هموم طالب مثلي أن ينشغل في المسرح وفنونه وشجونه بل لم يكن المسرح من مقررات الدراسة كما هو الآن في أغلب كليات الآداب في العراق ليس من المقررات، مع الأسف الشديد.

أهداني كتابه الثمين في وقت كنت لا أتمكن من شراء (لغة قلاقل) فقد أطبق علينا الحصار وصار من ملامحنا؛ وقد كتب في الإهداء : ( إلى تلميذي النجيب الشاعر حسين القاصد الذي اتوقع له مستقبلاً زاهراً في عالم الشعر) كانت هذه الشهادة الكبيرة هي الثانية بعد ما قاله وكتبه استاذنا عناد غزوان ( رحمهما الله ) .

كنت في المرحلة الثالثة أتوجس خيفة وقلقاً كبيرين؛ فالدكتور جميل نصيف التكريتي بانتظارنا في المرحلة الرابعة، إن بالمذهب الأدبية أو في الأدب المقارن أو علم الجمال، وهو الأستاذ في جميعها؛ فقلت لأطلع على الأدب الروسي لأن الرجل يشغله الأدب الروسي وقد ترجم منه الكثير.

وصلنا المرحلة الرابعة وكانت متعة مخيفة، متعة أن نتصت لجميل نصيف التكريتي، والخوف من أن يحرمني لأن تهمة الشاعر وضعتني في الواجهة وقد يسألني عما لا أعرفه.

وحدث ذات يوم أن خرج من موضوع الدراسة ليجدنا عن بدايات الحرب العراقية الإيرانية، إذ قال: طلبت منا الحكومة أن نكتب للحرب وننشر في الصحف، فهب يوسف الصائغ وجند قلمه ومثله فعل الآخرون، أما أنا (والحديث للدكتور جميل) فقممت بترجمة القصص الألمانية

# د. جميل نصيف الأستاذ ذو الرسالة

ناظم عودة



عندما التقيتُ أستاذي الكبير الدكتور جميل نصيف التكريتي في لندن، وجدته متلهفاً لمواصلة الأحاديث السابقة في كلية الآداب وكأنها أحاديث منقطعة يريدُ تكملتها. فتحدثنا، لكن الأحاديث لم تنته، فأحببتُ أن أكمل بعضاً منها لأن التكملة حق لتاريخ الثقافة العراقية، أو هي إرشيف مهم من إرشيفات كلية الآداب الذي ينبغي أن يحفظ في ذاكرتها. فما أذكره هنا في هذه المقالة، هو مجرد اعتصارات لذاكرتي لاستعادة أفق محاضرات هذا الأستاذ الناقد المترجم في هذه النبذة المختصرة:



أن يُعيدَ أستاذٌ جامعي، عبر محاضراته، تمثيل الصراع الثوري الذي دار في حقبة ذهبية للثقافة الروسية؛ الصراع الفكري والاجتماعي والأدبي حول مفاهيم: التقدم، التحديث، الثورة، والواقعية النقدية التي مارست نقداً قاسياً للسلطة الاستبدادية وأنظمة العبودية في المجتمع الروسي، فإن هذا يبدو عملاً ينطوي على مغامرة حقيقية في مرحلة النظام السياسي الاستبدادي بالعراق في الثمانينيات.

عندما تبدأ محاضرة الدكتور جميل نصيف التكريتي، كان الصمت يخيم على جميع الطلاب وكأن على رؤوسهم طير مهاية لهذا الأستاذ الذي كان يسرحُ بفكره بعيداً وكأنه يخلق في عالم من الأفكار والحكايات التي تدور بينها صراعات وحوارات. المحاضرة، إذن، كانت تحاكي مسرحية تنطوي على حبكة وأحداث وفعل يبلغ ذروته عبر صراعات وحوارات شتى، ثم تأتي لحظة التفسيرات والتأويلات التي تربط ربطاً جديلاً بين كل ذلك.

التاريخ، إذن، ليس حيادياً في الأدب والفكر، ولا يمكن أن يكون كذلك في رؤية جميل نصيف ومنهجه لتناول هذه الموضوعات الشديدة الأهمية في تاريخ الأدب. لقد ذكر، وهو يلقي سلسلة محاضرات عن العلاقة بين "التاريخ العام" و"تاريخ الأدب" أن "التطور" هو المفصل الأساس في تاريخ الأدب وليس "التعاقب" التاريخي. وكان تناوله الرائع العميق بالاقتراسات والشواهد يُعني فكرة رينيه ويليك ويطورها استناداً إلى جماليات الواقعية النقدية الروسية. وهنا، ينبغي أن نتذكر ترجمته

لموسوعة "نظرية الأدب" التي اشترك كوكبة من الباحثين السوفييت في تأليفها. كل هذا يجعل الخلفية النظرية والفكرية التي يتكى عليها جميل نصيف أكثر غنى وثراءً في تناول هذه الفكرة. كان هذا الأستاذ، يبذل جهداً وكأنه ممثل يعيش الدور ويتفاعل معه لتبليغ رسالة معينة، فصوته بتموجاته ومحاكاته كان يعبر خير تعبير عن هذه الفكرة. كنت أشعر أن هذا الأستاذ لا يلقي محاضرة، أو أن غاية المحاضرة عنده ليست تعليمية ووعظية، إنما لها رسالة تخاطب عقولنا الخاملة، لأنه يتعدى المعلومة إلى ما بعدها، إلى ما يترتب عليها من مضمون يستفز عقولنا. فهو لا يتناول قضية الصراع الأدبي على أنها مجرد قضية تتعلق بالشكل والمضمون، وإنما باعتبارها ثورة على كل ما هو قديم ومتحجر وثابت رافض للتجديد والتحديث. ولو استعدنا شريط التفاصيل الذي يتضمن محتوى محاضراته في ضوء السياق الاجتماعي والتاريخي والثقافي والسياسي والديني المتشكل بالعراق في تلك المرحلة، سنفهم أن المحاضرة كانت تطمح إلى ما هو أبعد من الصراع المحصور في نطاق: الفكر أو الأدب. وبذلك تتحول المحاضرة حول الصراع بين الكلاسيكية والرومانتيكية إلى رغبة دقينة عند جميل نصيف، ذي الخلفية الماركسية، للتغيير الثوري الشامل لتقويض البنى المتحجرة في هذا الإرث. وتبدو هذه الرسالة التي يحملها على قدر كبير من المغامرة في وضع سياسي استبدادي، لكنه كان يتمتع بالشجاعة الكافية ليتطرق إلى استعمال بعض المفاهيم خارج نطاق أدبيات النظام السياسي. فمفهوم الثورة بالمعنى البيلنسكي مثلاً، هو استعمال لا يمكن قبوله في تلك المرحلة، ويتعارض تماماً مع دلالتها في القاموس السياسي للنظام. لكن هذا الأستاذ ضرب كل هذه الاعتبارات التي وضعها السلطة لينطلق في ترسيخ مفهوم الصراع من أجل التغيير الثوري الديمقراطي الذي لا يدع مفصلاً متلكساً على حاله. تغيير جذري يُجدد المجتمع والفكر والوعي تجديدًا كلياً كما يُجدد الهواء النقي المكان المخنوق بانغلاقه. وهنا، ينبغي أن نفهم موقف جميل نصيف من البنيوية التي استندت إلى دراسات الشكلانيين الروس وإلى علم اللغة السوسيري وأبحاث مدرسة براغ

في علم الأصوات ودراسات رومان ياكوبسون وإميل بنفينيست وكلود ليفي شتراوس وغيرها من الدراسات، لتبلور رؤية "محايدة" لتفسير الأدب بمنأى عن التاريخ. فالمخيلة المُخصبة بالأعمال الأدبية العظيمة لدى جميل نصيف، والتي تربت حساسيته وذائقته الجمالية على الفهم في ضوء العلاقة الجدلية بين الأدب والتاريخ، لا يمكنها قبول الطريقة البنيوية في فهم الأدب وتفسيره. ولم تكن الفلسفة البنيوية في حصر القيمة الأدبية في الشكل والعلاقات اللغوية واعتبارها بنية محايدة، لتختل بالقبول النقدي لدى جميل نصيف الذي ينظر إلى التاريخ بوصفه جدلية وروحاً تتمتع بحيوية تمنح العمل الأدبي حركية وتضفي عليه طراوة الديمومة الزمانية والمكانية.

في تلك المرحلة الاستبدادية، كنت قد قرأت العديد من الدراسات النقدية العراقية، وكان بعضها ينتمي إلى النقد الأكاديمي، فلم أعثر على نقد تحليلي يربط ربطاً "جديلاً" بين "التاريخ" و"جماليات الأدب" بل كان التاريخ يسير في جهة، والعمل الأدبي في جهة ثانية. لكن هذه الطريقة، أو هذا المنهج الذي يميظ اللثام عن التماهي بين الأدب وتحولات التاريخ، قد أسرتني واستولى على مجامع لبني، فكنت، في أثناء المحاضرة، لا أمسك قلماً ولا أدون شيئاً، بل إنني أترك لذهني ومخيلتي الاندماج بتلك الرحلة الفكرية التي لا يمكن تدوينها في ورقة. إنها رحلة حوارات ومواقف وصراعات وتمثيلات واقتباسات صعوداً نحو بنية أدبية معينة وهبوطاً نحو التاريخ في مفصل معين من مفاصله. النقد الذي أسس مفاهيمه ونظرياته واصطلاحاته على الشعر وحده، لا تجد له حيزاً في محاضرات جميل نصيف، فعظمة النثر في روايته الروائية والمسرحية، تتجلى صافية ومثيرة وغنية فكراً وجمالياتاً وتاريخياً في تلك المحاضرات. لا يبدو، هذا، شيئاً غريباً على أستاذ متمرس كان قد ألف وترجم سابقاً كتاباً: "قراءة وتأملات في المسرح الإغريقي"، وترجم كتاباً برتولد بريخت: نظرية المسرح الملحمي.

كل ما كنت قد قرأته سابقاً قراءة نظرية حول "الجدل الماركسي" و"الاصيرورة" و"صراع الطبقات" و"البرجوازية" و"النبلاء"

و"الارستقراطية" وسوى ذلك من مفاهيم مجردة، أضحي الآن يتحرك متمتعاً بحيوية بانخلة عبر شخوص وأفعال يؤنون أدواراً معينة في هذه الحياة، وتوجههم رؤية المؤلف من وراء حجاب شفيف. جميل نصيف كان يمسك بخيوط كل ذلك ويحركه ببراعة في محاضرة "المذاهب الأدبية" وله كتاب قيم بهذا العنوان.

هكذا، تجعلك هذه المحاضرات تبلغ منزلة اليقين أن الأدب ليس مجرد حشو لكلمات اللغة. وليس مجرد حرفة أو مهارة وإنما يؤدي وظيفة جوهرية في الحياة والوجود والواقع الاجتماعي. وأن سموه يكمن في قدرته على تغيير الواقع وفضح أنماط السيطرة السلطوية بجميع أشكالها وليس مجرد انعكاس للواقع على سطح اللغة. وبالتالي فإن الأدب ليس فرعاً ملحقاً باللغة وتابعاً لها، بل إنه تمثيل للحركة والاصيرورة الجدلية التي تحرك التاريخ، وعدا ذلك يصبح الأدب مجرد عبث غير وظيفي لا طائل من ورائه.

عندما تكون الأمثلة والاقتباسات من إبسن وشكسبير وغوته وراسين ومولير وكورنيليه ودوستوفسكي وتشخوف وغوغل وبوشكين وتورجينييف فإن الحركة الدرامية في قاعة المحاضرة كانت حركة في عمق التاريخ والميثولوجيا والجماليات. الدراما، هذه الكلمة التي تختزن حركة الحياة وجدل الواقع ومحاضرات لتقريبها حقها. فاصطحبنا معه إلى الأصول والجنور الأولى، إلى المأسا الإغريقية، إلى مسرحيات سوفوكليس ويوريديس وأسخيلوس، إلى أوديب ملكاً وأنتيغون وطيبية وبروميثيوس وغيرها من التراجميات الإغريقية. ولم يكتف بذلك، وإنما أراد أن يبين لنا النسق النظري الذي يتحرك بمقتضاه الفعل المسرحي، فقام بتدريسنا كتاباً أرسطوطاليس "فن الشعر" بترجمة شكري عياد، وترجمة وتحقيق: عبد الرحمن بدوي. وبالمناسبة لي، قرأته على نسخة عبد الرحمن بدوي، وما زلت أعيد قراءته على تلك النسخة محتفظاً بها في مكتبتي أينما رحلت وحلثت. محاضرات في أصول الشعرية، التي توجها بترجمة كتاب باختين: شعرية دوستوفسكي. لم يرغب بدءاً في استعمال مفهوم الشعرية Poetics الذي ينتمي



الناقد التقدمي الذي اتخذته وسيلة لنقد السلطة والعبودية ونظام القنانة، ثم اتخذته وسيلة لنيل الحرية والمطالبة بالتغيرات الثورية التقدمية. في أثناء جلسة مناقشة الأطروحة، عقب أحد المناقشين: إن ما قدمته جميل نصيف يُعد إضافة لما نعرفه عن بيلنسي.

عاش بيلنسي حياة قصيرة ما بين (1811-1848) ومات بمرض السل. وعلى الرغم من هذه الحياة القصيرة (37) سنة، إلا أنه ترك تأثيراً بالغاً في الفكر الروسي الحديث. فهو مؤسس علم الجمال الروسي الذي اعتبره الواقعية قيمة جمالية مطلقة. كان بيلنسي جزءاً من الحراك الفكري والثقافي الذي كان بداية حقيقية لتقويض طبقة النبلاء على أيدي الطبقة الوسطى الروسية. فهو ناقد نضج فكره النقدي والجمالي في ضوء تطور الواقعية النقدية الروسية ونضالها ضد الحكم الأوتوقراطي ونظام الإقطاع والقنانة والعبودية، وبلورتها لفكرة الديمقراطية الثورية التي تعبر عن طبقة الفلاحين. هذه المعاني والأفكار، تعرف مدى خصوصيتها حينما نعرف أن هذا الأستاذ كان قد ترجم كتاب: في سبيل الواقعية، الذي يتحدث عن فكر بيلنسي وتشير نيشيفسكي ودوبرليوبوف، وهو كتاب غني وقيم ضخم من تأليف البروفيسور: لافريينسكي.

وهكذا، كان درس الدراما والمسرح يمر بتحويلات المسرح وتطوره منذ أن كان فناً أغريقيا مقترناً بالقواعد الصارمة وبفلسفة تغليب العقل على العاطفة، والموضوع على الذات. ثم بتقويض الأسس والمبادئ الكلاسيكية بتغليب الذات على الموضوع والعاطفة على العقل والنزعة الفردية على الجماعية. ثم الانتقال إلى مسرح شكسبير، وانتهاءً بالمسرح الملحمي البريختي الذي دشّن رؤية جديدة وعصرًا جديدًا للمسرح. وهنا ينبغي أن نعرف أن تجديد المسرح البريختي كان تجديدًا جذريًا للمسرح الأرسطي. ولا يمكن أن يرضى به جميل نصيف لولا حساسيته الجمالية التي تتشكلت في نطاق الواقعية النقدية الروسية، ولولا الطريقة الثورية التي اتبعتها برتولد بريخت في جعل المسرح مسرحاً ديالكتيكياً وجزءاً من المهمة التغييرية التي يتطلع إليها بريخت عندما دمج المتفرج في اللعبة المسرحية وأشركه في سياق دهشتها وغرابتها. وهكذا، قلب وظيفة المسرح من التطهير الأرسطي إلى وظيفة تغييرية، تعبئ المتفرج ليكون أداة التغيير الجذري.

وضّحت صورة القوانين الكلاسيكية للأدب، أنسل جميل نصيف إلى حقل أكثر شمولية يعالج المسائل الكلية، ويعبر الأدب إلى الفن بشكل عام، وهو حقل علم الجمال، فكان أستاذًا محنكاً في تدريس كتاب أحد أتباع الهيغلية الجديدة وهو كروتشه وكتابه الرائد في علم الجمال: المجمال في علم الجمال. فقد كان لآراء كروتشه الجمالية التأثير البالغ على النقد الفني البورجوازي عندما اعتبر، استناداً إلى مرجعيته الهيغلية، الفن جوهرًا روحياً. ثم انتقل جميل نصيف إلى مرحلة مناقشة الصراع الفكري، فناقش مسألة الصراع بين القيم الكلاسيكية والقيم الحديثة المتمثلة في المذهب الرومانتيكي، ولاسيما في المجتمع الفرنسي الذي كان يكافح قبل الثورة للانتقال إلى العصر الحديث. فكان ثمة حديث موسّع عن عصر الأنوار (روسو، مونتيسكيو، وبيرون). وحديث عن مركزية السلطة الملكية والوزير الفرنسي الماردينال روشليو الذي كان يدعو إلى تقوية نفوذ مركزية السلطة وحصرها بيد الملك، ومساندة هذه المركزية السياسية للقيم الكلاسيكية المحافظة ووضع القواعد الصارمة التي تجلّت في تأسيس الأكاديمية الفرنسية في سنة 1635 في عهد لويس الثالث عشر. وحديث عن المحاولات الفرنسية المبشّرة بالروح الحديثة والطامحة للتغيير، فكانت مدام دي ستال هي إحدى رموز هذا التغيير. في مقابل بوالو المتزمت والمتزلف للسلطة التي ساعدته على اكتساب القوة والثقة لوضع القواعد الصارمة ومهاجمة الأدباء الطامحين للتحديث والحرية. فكان قبوله في الأكاديمية الفرنسية بمثابة السيف المسلط على رقاب الأدباء. بعد هذه السباحة الفكرية والأدبية، كان الحديث عن مدارس الأدب المقارن يخرج عن النمطية المعتادة فيه. ذلك أن الحديث عن الأدب المقارن ومدارسه: الفرنسية، والأمريكية، والسلافية، لم يمنع من الحديث عن أصوله في الأدب العربي، وجميل نصيف أحد المشاركين الناشطين في مؤتمراته.

كتب جميل نصيف أطروحته عن مفهوم الرومانتيكية عند بيلنسي. وانطلق من معالجة مشكلة معروفة لدى النقاد وهي أن بيلنسي كان متناقضاً في تبني هذا المفهوم وطرحه. وأراد جميل نصيف أن يفند ذلك، وثبت أن القراءات السابقة لفكر بيلنسي كانت مبتسرة، وبالتالي فإن فهم هذا الفكر كان فهماً مبتسراً. فعاد إلى قراءة القرن السابع عشر ليتابع نشأة هذا المفهوم وتطوره، وكيف وصل إلى بيلنسي

إلى قاموس الاصطلاحات البنيوية، فنشره بعنوان: قضايا الفن الإبداعي عند دوستويفسكي، لكنه اقتنع لاحقاً في استعمال مفهوم الشعرية في الطبعة الثانية الصادرة عن دار توبقال نتيجة لانتشار استعماله وتداوله بين النقاد. كانت ترجمة الكتاب عن اللغة الروسية بلغة بعيدة عن المعاصرة والتعقيد، تجعلها ترجمة مرجعية.

كتاب أرسطو، كتاب مرجعي، غني بالأفكار والنظريات المؤسسة في النقد والجماليات، فكان حديثه العميق عن جوهر الشعر وعلاقته بالتاريخ، وعن الشعر الدرامي والشعر الغنائي والشعر الملحمي، حديثاً يفتح أبواب المعرفة على إدراك الأدب والتاريخ والجماليات. وبمناسبة الحديث عن الملحمة، ولّد الحديث عن نشأة الرواية وعلاقة ذلك بالملحمة ومناقشة آراء مؤرخي الأدب والنقاد ونظرياتهم بهذا الخصوص. وهنا ينبغي أن نعرف أنه ترجم كتاب كوزينوف: الرواية ملحمة العصر الحديث، ضمن موسوعة نظرية الأدب التي نقلها عن اللغة الروسية. وكانت هذه موسوعة على قدر كبير من الإثارة لما تتضمنه من شواهد واقتباسات ومعرفة موسوعية تميّز بها جميل نصيف دون سواه.

في حديثه عن قوانين المسرح على النحو الذي سنّها فيه أرسطو، وعن نظرية المحاكاة، كان يستغل ذلك ليعرّج على هوراس الناقد الروماني الشهير الذي حاول اتباع طريق سنن المحاكاة الأرسطية، وكيفية تطور مفهوم المحاكاة عبر التاريخ وصولاً إلى الفيلسوف والنقاد والمُنظّر والمسرحي الألماني ليسنج Gothold Ephraim Lessing أحد مفكري التنوير الألماني في القرن الثامن عشر. ويبدو أن اهتمام جميل نصيف بليسنج لكونه كان خصماً قوياً للإقطاعية وكان يعمل على تطوير فكرة الديمقراطية وثقافته من المجتمع الألماني وثقافته من خلال كتابه: "تربية الجنس البشري" 1780. وهو الكتاب الذي يبشّر فيه بمستقبل يتحرّر فيه المجتمع الألماني من العبوديات. وعلى الرغم من فلسفته المثالية إلا أنها كانت تنطوي على نظرات ومضامين مادية. وكان يدعو إلى الواقعية في الأدب. وهنا نفهم لماذا عاد جميل نصيف إلى هذا الناقد الفيلسوف. فخلقيته الفكرية والنظرية قد اغتنت بفكر الواقعية النقدية والنقد الثوري الديمقراطي عند بيلنسي وتشير نيشيفسكي ودوبرليوبوف وغيرهم، فأصبح ذلك الفكر أساساً متيناً لها ومنبعاً لمعاييرها. بعد أن

# قالوا في الدكتور جميل نصيف التكريتي

إعداد: عراقيون



د. إبراهيم خليل الغلاف

علمتُ قبل قليل بوفاة الاستاذ الدكتور جميل نصيف التكريتي اليوم السبت ٢ من كانون الاول - ديسمبر الجاري ٢٠٢٣ وهو من رموز الثقافة العراقية المعاصرة واحداً اعمدة جامعة بغداد قدم الكثير خلال مسيرته العلمية والبحثية والاكاديمية والثقافية الف و ترجم واشرف وناقش وله اراءه وله نشاطاته. الاستاذ الدكتور جميل نصيف جاسم التكريتي وهذا اسمه الكامل من مواليد مدينة تكريت سنة ١٩٣٠. خريج قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية بجامعة بغداد فهو درمي من الطراز الاول كان تخرجه سنة ١٩٦٠ وقد حصل على شهادة الدكتوراه (ناؤوك) من جامعة موسكو متخصصاً بالادب العربي الحديث وكان من المولعين بدراسة المذاهب الادبية والنقد لذلك برع في مجال تدريس الادب والنقد الحديثين. كما اهتم بالمسرح والادب المقارن. وقد كتب عنه الاخ والصديق الاستاذ حميد المطبعي في (موسوعة اعلام و علماء العراق) وقال انه اظهر في عقد السبعينات من القرن الماضي اهتماماً بالادب المقارن وكتب فيه بحوثاً ومقالات ومما كتبه (حول نظرية الادب والمسرح) وصدر له من الكتب المؤلفات كتاب (قراء وتأملات في المسرح الاغريقي) وكتاب (الادب المقارن) مشترك ١٩٨٩ وهو كتاب منهجي وكتاب (المذاهب الادبية) ١٩٩٠. وكما ترون الى جانب هذه السطور فهو قد ترجم بعض الكتب منها كتاب عن الروائي والكتاب الروسي الكبير دستوفسكي بعنوان (شعرية دستوفسكي).

صرح ببعض آرائه وفلسفته للحياة للاستاذ حميد المطبعي رحمه الله ومنها ان للفكر دور في توجيه الحياة والتسريع في حركتها واثارت اراءه حول المسرح في عقد السبعينات جداً يستحق الدراسة. كان استاذاً نشيطاً دؤوباً حضر ندوات ومؤتمرات ادبية داخل العراق وخارجه وكان سنة ١٩٩٤ استاذاً في جامعة بغداد ومن كتب عنه صديقه الكاتب المصري اليساري الاستاذ احمد عباس صالح.

ظافر جلود

برحيل أيقونة النقد المسرحي الاستاذ والمعلم الاكاديمي الدكتور جميل نصيف التكريتي يكون قد فقد المسرح العراقي والعربي استاذاً جليلاً ومثقفاً ملماً بحرفيات المسرح وتفاصيله النقدية والمعرفية، التقيته لأول مرة في مسرح بغداد ونحن نشاهد معا مسرحية (مقامات الحريري) إعداد وإخراج الراحل الكبير أستاذنا الفنان قاسم محمد تقديم فرقة المسرح الحديث.. كان يسأل ويكتب.. التفت لي وقال عليك ان تكتب عن هذا العرض لان مهمتنا ككتّاف وصحفيين ان ندفع ونشجع في قراءة جمال تراثنا الانساني وتحويله لصياغات درامية تقربه من الجمهور..

كمال يلدو

الدكتور جميل نصيف التكريتي، عُرف عنه جرأته المتناهية في تناول مادته الأكاديمية المقدمة لطلابها ومقاربتها مع الواقع العراقي المعاش، حتى في أحلك ظروف الارهاب التي عاشها العراق. كان مؤلفاً متميزاً ولهذا اختيرت بعض كتبه كمادة تدريسية. الكثير من طلابه مازالوا اليوم يحتفظون بذكريات عطرة عنه. الوفاء له و لامثاله ممن خدموا المسيرة الثقافية هو واجب وطني.

حمزة عليوي

من النادر أن يكون هناك فهم عميق لادب ونظريته في الوسط الثقافي العربي، ولا سيما العراقي؛ فإن العقدين الأخيرين من القرن الماضي قد شهدا إقصاء متعمداً للأثر الروسي في العالم العربي، وتعزيز التأثير الأوروبي الغربي على إدراك "العربي" لحياته. وفي الطليعة من هذا الإدراك هو فهم الأدب وإدراكه. وقد أزعج أن أستاذنا الراحل "د. جميل نصيف التكريتي" هو من القلائل النادرين ممن ظل محافظاً على تعزيز القيمة الروسية الكبرى في فهم الأدب. ومنه أدركنا وفهمنا الأدب عامة بوصفه نظرية متكاملة.

أشعر بفخر كبير كوني أحد المحظوظين المتأخرين الذين تتلمذوا على يد ذلك الأستاذ القدير. منه فهمت نظرية الأدب، ومنه أدركت خطورة وفداحة أفكار كثيرة، سعى الدكتور التكريتي لتصحيحها والتنبيه، في الأقل، على خطورتها في سياق فهم الأدب.

رحم الله أستاذنا القدير الدكتور جميل نصيف التكريتي.

تيسير الأوسي

ألواح سومرية معاصرة

فقد العراق والعالم العربي اليوم عالماً جليلاً من علمائه وقامة سامقة شامخة من قاماته ونخيله، فقد العراق والعالم العربي المفكر البروفيسور الدكتور جميل نصيف التكريتي برحيله عن عمر ناهز العقود التسعة ونيف.. بهذا الخطاب الجلل أعزي العراق بخسارته تلك الشخصية الوطنية الأكاديمية والفكرية التنويرية وأخص هنا بالتعزية الجامعة العراقية بعامه وجامعة بغداد وكليتي الآداب والفنون فيها وكوكبة أحر مساهمة له بشرف نالته مجلة ابن رشد عبر عضويته في الهيئة الاستشارية لها كما أعزي الحركة الأدبية والفنية وكل الناشطين في مجال النقد الجمالي بعمقه الفكري.

أياد الدليمي

مازلت صورته وهو يرتدي قبعته ونظارته ويدلف علينا مرتين في كل أسبوع ماثلة أمام عيني، صوته، هيئته، أناقته، دماثة أخلاقه، وقيل وبعد هذا وذاك علمه. كنا في المرحلة الرابعة أو الثالثة في آداب بغداد وكان التكريتي أستاذنا بمادة المذاهب الأدبية، وذات المادة كان يُدرّسها رحمه الله في كلية الفنون الجميلة. تخرج من جامعة موسكو وهو من أوائل العراقيين الذين تخرجوا من الجامعة الروسية العريقة. جمعتني معه قصة ذات معنى ودلالة عميقة سآتركها حالياً، علني أعود لها ذات يوم.

نقدية عميقة في المسرح الاغريقي ونظريات علم الجمال. كان حضوره فينا مؤثراً وهو يحفز أذهاننا على التفكير والتأويل، بذلك أصبحت دروسه في مكان مختلف عن دروس بقية الأساتذة، ولهذا قررت ألا أتغيب عنها أبداً، على عكس ما كنت عليه من تسبب وعدم التزام مع دروس أساتذة آخرين، حتى أصبحت محاضراته، أجمل فرصة لكي نحظى بحريتنا ونحن نبحت عن إجابات بعيدا عما كنا نتلقاه من معرفة.

ما أذكره جيداً أنه كان يتضايق كثيراً إذا ما كانت إجاباتنا في الامتحانات مجرد إعادة للمعلومات التي سبق أن طرحها علينا. وهنا كانت لديه جملة شهيرة بهذا الخصوص: "لا أريدكم أن تتقيأوا على ورقة الامتحان ما قدمته لكم في محاضراتي، عليكم أن تكتبوا من وحي تفكيركم".

قحطان فرج الله

العالم الجليل المتواضع ...

في نهاية التسعينات من القرن الماضي كنت طالباً في كلية الآداب جامعة بغداد، وكان من المقرر في السنة الرابعة دراسة مادة (الأدب المقارن)، كنا نسمع كثيراً عن الدكتور جميل نصيف، ولكن عندما دخل المحاضرة كعادة أي استاذ مرموق لم يطلب من الطلبة غير الاصغاء والانتباه فلم تكن في حصة مدرسية تبدأ بسؤال (منو محضر؟) كان درساً جامعياً بامتياز.

استهل ذلك بقوله: اريد من الطالب أن يأتي بوعاء فارغ ويد مفتوحة ازوده بكم هائل من مفاتيح المعرفة، أنا أستاذ مهتمتي تزويدكم بكل تلك المفاتيح وعلينا فتح الاقفال المغلقة بالبحث العلمي.

لم يكون ما قاله الراحل الجليل نقش على سطح الماء، بل كان بحق درساً عملياً في المعرفة. رحمه الله رحمة واسعة وجعل كل ذلك في ميزان عمله الصالح.

د. حسين علي هارف

ببالغ الأسى والحزن تلقيت نبأ رحيل استاذي العزيز الدكتور جميل نصيف التكريتي الذي رحل هذا اليوم عن عمر ناهز التسعين عاماً..

رحم الله استاذي الذي تتلمذت على يديه لسنوات (نهاية السبعينات) ومطلع الثمانينات) ونهلته منه علماً ومعرفة وكان خير حافظ و داعم لنا كطلبة بقسم الفنون المسرحية..

كان له الفضل في تعلقي بالادب العربي والادب المسرحي الذي تخصصت فيه لاحقاً ...

وكان رئيساً للجنة تحكيم مهرجان المسرح التجريبي الثاني.. التي منحتني أول جائزة لي في مسيرتي (افضل عرض مسرحي) عن مسرحية أمسية مع نجيب سرور التي قمت باخراجها عام ١٩٨٤.

لروحته السلام والطمأنينة.

مروان ياسين الدليمي

من منّا لا يقف احتراما للدكتور جميل نصيف التكريتي ليس كل أستاذ جامعي يمتلك القدرة على أن يصحبك إلى فضاء رحب من المعرفة وحرية التفكير، لتجد وعيك على موعد مع أسئلة جديدة، وإجابات تحيلك إلى منطقة خصبة، يتحرك فيها الحوار، ويتنفس هواء الجدل.

الدكتور جميل نصيف التكريتي، كان نموذجاً للأستاذ المفكر، مقارنةً ببقية الأساتذة الذين درسونا في كلية الفنون الجميلة في بغداد مطلع ثمانينات القرن الماضي، (باستثناء ثامر مهدي وجعفر علي) في حينه كان قد صدر له ترجمة لكتاب حمل عنوان "نظرية الأدب" لمجموعة من الباحثين السوفييت، لأشك أبداً في أنه من أهم الكتب التي لا يختلف إثنان على تقييمها.

مع أول درس له حضرناه ونحن طلبة في المرحلة الأولى، أدركت ساعتها، أننا أمام قامة علمية رصينة تحمل ذهنية منفتحة، نظراً لما كان يطرحه من قراءات

"20 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

